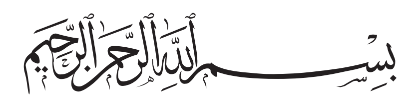



منهج المستشرقين في إنتقاء الأحاديث مدخلاً للطعن فيها

للباحث

الدكتور صفاء جعفر



المُقَدِّمَةُ

إنّ الحمد للّه نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّدا عبده ورسوله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وعلى آله وصحبه ومن تبع هديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد تباينت وجهات النظر حول المستشرقين بين مؤيد لهم وبين مشكك بنواياهم وبجهودهم، وأثبت الباحثون أن الكثرة الكاثرة منهم إنما سعوا للطعن بالإسلام وبأهم رموزه وحاولوا إلصاق كل نقيصة به، وكل مزية بغيره، ومن الإنصاف أن نقول أن هذا الحكم قد يكون هو الغالب على جهود أغلب المستشرقين ومواقفهم ؛ ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض المنصفين مع قلتهم .

ولم يدخر المستشرقون المتعصبون وسيلة إلا ووظفوها للطعن والتشكيك والتشويه، ومن هذه الوسائل انتقاء الأحاديث للترويج لفكرة ضالة، أو لتشويه حقيقة معروفة، أو للطعن برموز إسلامية .

وهذا البحث يسلط الضوء على إحدى وسائل المستشرقين التي استعملوها للطعن بالإسلام، وهي انتقاء ما يناسب أغراضهم من أحاديث ومرويات مدخلاً لتحقيق أغراضهم، وقد عنونت هذا البحث بـ(منهج المستشرقين في انتقاء الأحاديث مدخلاً

للطعن فيها) .

بينت فيه المنهج الذي تعامل فيه المستشرقون مع الأحاديث، وأسلوبهم في انتقائها، وكيف رجَّحوا بين الروايات المتعارضة، وطريقة توظيف هذه الأحاديث لتوافق أغراضهم، وذلك بدراسة بعض الأحاديث التي استدلوا بها، والغرض الرئيس من هذا البحث هو كشف عدم حيادية المستشرقين التي زعموها أو التي يروج لها أتباعهم، وقد استشهدت في كل مبحث بحديث واحد من الأحاديث التي استدل بها المستشرقون مع التعليق عليه توافقاً مع محدودية حجم البحث، ويمكن التوسع فيه في رسائل جامعية وحسبي التنبيه على أهمية الموضوع .

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث :

تناولت في التمهيد التعريف بإيجاز بالاستشراق .

وفي المبحث الأول: طعنهم بالقرآن الكريم.

وفي المبحث الثاني: طعنهم بالنبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ

وفي المبحث الثالث: طعنهم بعلماء الإسلام .

وفي المبحث الرابع: طعنهم بالأحكام الشرعية .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

تمهيد

أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين، لعلوم الشرقيين، ولغاتهم، وأديانهم، وتاريخهم، وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك . وبدأ الاستشراق منذ الفتح الإسلامي لأوروبا[1].

واختلفت الآراء حول الاستشراق، فبعضهم يعدّه أسلوباً غربياً في الهيمنة والسيادة على الشرق[2]، وبعضهم يعدَّه جهداً متواصلاً ودؤوباً ونشاطاً حثيثاً خدمة للعلوم الشرقية على العموم والعلوم الإسلامية على وجه الخصوص[3].

وهناك من يرى بان الاستشراق منذ مراحله الأولى ما هو إلا انعكاس حقيقي للعلاقة بين الغرب والشرق، لاسيما على اثر الاستكشافات الجغرافية وبروز العوامل الاقتصادية كاكتشاف أسواق للصناعات الغربية التي صارت الحاجة ملحة جدا إلى تسويقها بعد تكديسها في أسواق أوروبا[4].

ويرى عدد من المفكرين العرب والمسلمين إن الاستشراق يعني العداء للإسلام

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٠م: ص ٨٣ .

(٢) ينظر: الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء، أدورد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١: ٤٣.

(٣) ينظر: دراسة المشرقيات في أوربا، فليب حتي، مجلة الهلال، العدد ٣٣، ١٩٨٢، ص ١٧٥.

(٤) ينظر: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، د. عبد الجبار ناجي، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨١: ٤٥ .

ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم[1] .

والذي يراه الباحث أن بعض المستشرقين اتصفوا بالنزاهة والحيادية ؛ ولكنهم قلة قياساً على غيرهم، من أبرزهم موريس بوكاي[2] وأرب ثونت[3]، ووليم موير[4]، ورينان[5] .

أولاً ـ الاستشراق في اللغة :

الاستشراق: لفظة على وزن (استفعل) مشتقة من الفعل (شَرَقَ)، وتأتي على عدة معانٍ، منها[6]:

١ . طلب الشيء؛ والمعنى: طلب لغات الشرق، وعلومه، وأديانه .

٢ . التعرف على الشيء؛ ومنه: التعرف على العالم الشرقي من خلال الدراسات اللغوية، والدينية، و التاريخية، والاجتماعية، وغيرها .

٣ . الأخذ من ناحية المشرق .

---

(١) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٠م: ٧٣ ؛ الحركة الصليبية وأثرها على الاستشراق الغربي، د. علي الشامي، مجلة الفكر العربي، العدد٣١، ١٩٨٣م: ١٥٧ .

(٢) ينظر كتابه: دراسات في الكتب المقدسة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، ترجمة دار المعارف، دار المعارف، ١٩٧٨م .

(٣) ينظر آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ـ دراسة ونقد، عمر إبراهيم رضوان، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين ١٤١٤هـ: ٥٨٦

(٤) ينظر: واقعية المنهج القرآني، توفيق محمد السبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٣م: ١١٧ .

(٥) ينظر: قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، – توفيق محمد السبع، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م: ٩٤ .

(٦) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م: ٢/ ١١٩٢ .

ثانياً ـ الاستشراق في الاصطلاح :

اختلفت تعريفات الاستشراق على حسب الخلاف الفكري والثقافي للمتصدين للتعريف، ومما جاء في تعريف الاستشراق:

عرَّفه الزقزوق بأنه: " علم الشرق، أو علم العالم الشرقي " وهو تعبير أطلقه على الدراسات المتعلقة بالشرقيين وشعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم، وهذا معنى عام للإستشراق "(١).

عرف إدوارد سعيد الاستشراق عدة تعريفات؛ منها:

١. أنه «أسلوب في التفكير مبني على تميّز متعلق بوجود المعرفة بين «الشرق» (معظم الوقت) وبين الغرب ".

٢. إنه ليس مجرد موضوع سياسي، أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات، والدراسات، أو المؤسسات، وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق ...؛ بل هو توزيع للوعي الجغرافي إلى نصوص جمالية، وعلمية، واقتصادية، واجتماعية، وفي فقه اللغة .

٣. بأنه المجال المعرفي، أو العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمّة كموضوع التعلم، والاكتشاف والتطبيق .

٤. إنّ الاستشراق: "نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق"(٢).

(١) ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، الدوحة، سلسلة كتاب الأمة، ١٩٨٤: ٨٤ .
(٢) ينظر: الاستشراق المعرفة: ٢ .

ج . وعرف عبد الحميد غراب الاستشراق بأنه "دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون – من أهل الكتاب بوجه خاص– للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب، عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات، بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات، ونظريات تدَّعي العلمية، والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"(١) .

د . وعرَّف محمد الشاهد الاستشراق بأنه «طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم»(٢) .

هـ.وعرفه أحمد عبد الحميد غراب بأنه: «ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه، ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما"(٣) .

وعرفه الدكتور مازن مطبقاني: "بأنه كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفيت) وأمريكيين من دراسات أكاديمية (جامعية) تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة، أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية، أو

(١) ينظر: رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي، برمنجاهم، ١٤١١هـ: ٧ .

(٢) ينظر: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، محمد الشاهد. مجلة الاجتهاد، عدد ٢٢، السنة السادسة، شتاء عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م: ١٩١-٢١١.

(٣) رؤية إسلامية: ٧ .

ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم. كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم العلنية أو السرية. ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم، ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ولا بد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنَّوا كثيرًا من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية، ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب والمسلمين إلى اللغات الأوروبية"[١] .

الاستشراق عند الغربيين :

١ .عرَّف رودي بارت الاستشراق بأنه « علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شي إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه كلمة استشراق، فهي مشتقة من كـلمة «شرق» وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو عـلم العالم الشرقي"[٢].

٢ . وعرَّف المستشرق الفرنسي مكسيم رودنـسون الاستشراق بأنه «إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق»[٣] .

(١) الاستشراق. د. مازن مطبقاني، بحث منشور على موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق،

http: //medinacenter.org .

(٢) المستشرقون البريطانيون، ا. ج. آربري، تعريب محمد الدسوقي النويهي، وليم كولينز، لندن، ١٩٤٦م: ٨ .

(٣) حوار تحت عنوان الاستشراق في الميزان، مكسيم رودنسون، مجلة رسالة الجهاد، العدد ٧٠

والذي يبدو راجحاً للباحث أن الاستشراق هو الجهود التي يبذلها الغرب لدراسة حضارة الشرق . ومن يمارس هذا يسمى مستشرقاً.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

طعنهم بالقرآن الكريم

استدل المستشرقون بعدد من الأحاديث النبوية الشريفة في محاولة منهم للطعن بالقرآن الكريم، وإنكار نزول الوحي به :

ومما استدلوا به ما ذكرته أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ((إن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ولقد رأيته ينـزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً))(١).

نقل عن المستشرق هنري ماسيه في كتابه «الإسلام»: «ووفقًا للتقاليد فإن محمدًا تلقى في بادئ الأمر نوعًا من الدوي، فصار كأنه مصاب بالحمى، وشحب لونه وارتجف وتدثر بدثار، وهناك بعض المؤرخين، والبيزنطيون منهم على الخصوص تحدثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد مصابًا به، ومن المعلوم في القرون الوسطى في الشرق كما في الغرب أن هؤلاء المرضى كانوا يتخيلون كأن روحًا تمتلكهم، وقد أصبحت النوبات عند

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بَيْرُوْت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ١/ ٤، رقم (٢) .

محمد مألوفة كثيرًا ابتداء من الوحي الأول الذي حدث في شهر رمضان»(١).

ونقل عن المستشرق واشنجتون آفنج في كتابه «حياة محمد» تحت عنوان «مسألة تعرض محمد لحالات من الصرع»: «وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب المسيحيين، ويبدو أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد أيدوها، فذهبوا إلى أن محمدًا كان يصاب برعدة عنيفة ثم بنوع من الإغماء أو التشنجات وفي خلال ذلك ينحدر من جبهته سيل من العرق البارد، فكان يرقد وعيناه مغلقتان وقد انتشر الزبد حول فمه... وكانت زوجته عائشة ومولاه زيد ممن وصفوا هذه الحالة وذكروا أنها تحدث له نتيجة نزول الوحي عليه، وقد انتابته هذه الحالة عدة مرات في مكة قبل نزول القرآن وخافت خديجة عليه، إذ ظنت أنها نتيجة تأثير الأرواح الشريرة، وأرادت استدعاء أحد المشعوذين ليفحصه، ولكن محمدًا نهاها عن ذلك، فكان لا يحب أن يراه أحد خلال هذه النوبات»(٢).

وهذه الدعاوى ما كان له أن تصدر من علماء عنوا بدراسة التاريخ وتاريخ الأديان إلا إن كان غرضهم التصيد بالماء العكر، والسعي المحموم لتشويه الإسلام، ويرد عليهم بأدلة كثيرة منها :

١ ـ أنهم في الوقت الذي يطعنون فيه بالسنة وينكرون مصداقيتها يستشهدون بها على إثبات ما يحلو لهم، مما يدل على اعتمادهم على الانتقائية المغرضة .

٢ ـ بيَّن الحديث الشرف أن هناك صوراً أخرى لنزول الوحي، فلم التقيد بشكل واحد وبناء النتائج عليه ؟

٣ ـ إن الوحي الذي نزل على الرسول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ هو الذي كان ينزل

---

(١) دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، د. علي علي شاهين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ: ١٢٤-١٢٥.
(٢) دراسات في الاستشراق: ١٢٥ .

على الأنبياء، ودليل ذلك قول ورقة بن نوفل لما أتاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه خديجة ـ رضي الله عنها ـ وأخبراه بنزول الوحي وما رافق ذلك، فقال له ورقة: ((هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى))[1] .

٤ ـ من له أدنى مسكة من علم يعلم جيداً أن الصرع حالة مرضية لها أعراضها المعروفة التي لا تخفى على أحد، فليس من المعقول أن تخفى على قريش أو على اليهود الذين كانوا يناصبونه العداء ويتحينون به الفرص، وأن من يصيبه الصرع لا يتلو بعده قرآناً معجزاً ـ بل يعاني من آثار الصرع . وإن الوحي الذي كان ينـزل على النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بتلك الصور المتعددة لم يكن بينه وبين الصرع أي تقارب أو تشابه، لأن الصرع عندما يصيب الإنسان يفقده النطق والحركة وتصطك أسنانه وتزيغ عيناه، فأين هذا من الحالة التي كان عليها النبي عليه الصلاة والسلام وهو يتلقى الوحي؟ ثم كيف يؤمن به الناس وهو يعاني مرض الصرع، وهو الذي يأتيهم بكلام فصيح وبليغ.

٥ ـ أما الدعوى بأن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ كان يصيبه الصرع قبل الوحي، فهي دعوى عارية عن الصحة، بل حرَّفوا حديث ورقة بن نوفل وحمَّلوه ما ليس فيه .

٥ – أما قولهم بأن خديجة ـ رضي الله عنها ـ خافت عليه من الأرواح الشريرة وأنها أرادت الالتجاء إلى المشعوذين إلى آخر هذا الكلام فهو عارٍ عن الصحة تمامًا، ويكذبه قول السيدة خديجة نفسها ـ رضي الله عنها ـ، إذ قالت له: ((كلا والله لن يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق))[2] .

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ١/ ٥، رقم (٣) .
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٥، رقم (٣) .

٦ ـ وصف النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بالصرع يتناقض مع فرية أخرى ساقه جولد تسيهر في كتاب «العقيدة والشريعة في الإسلام» إذ قال: «لكي نقدر عمل محمد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتساءل عما إذا كان تبشيره ابتكارًا وطريفًا من كل الوجوه ناشئًا عن روحه، وعما إذا كان يفتح طريقًا جديدًا بحتًا. فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة حقيقية عند بني وطنه»(١).



(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ـ تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، عبدالعزيز عبدالحق، علي حسن عبدالقادر، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٧م: ٥ ـ ٦.

المبحث الثاني

طعنهم بالنبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ركز المستشرقون جهودهم بشكل كبير للطعن بالنبي العربي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تكاد تمر عليهم شاردة أو واردة إلا وسخروها لهذا الغرض الخبيث، ومن ذلك اختيارهم بعض الأحاديث وتحريفها أو تأويلها بما يناسب أهواءهم . ومن ذلك:

حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قال: ((حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة))[(١)].

يقول غوستاف لوبون: «وضعف محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يُخْفِ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبه للنساء، فقد قال: حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء

(١) مُسْنَد أَحْمَد بن حَنْبَل، لأبي عبدالله أَحْمَد بن حنبل الشَّيْبَانيّ، (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر بلا تاريخ: ٣/ ٢٨٥ رقم (١٤٠٦٩) . الْمُجْتَبَى مِنَ السُنَن، لأَبي عبدالرحمن أَحْمَد بن شعيب النَّسَائِيّ، (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م: ٧/ ٦١ رقم (٣٩٤٠) . قال الفتني: « للنسائي دون لفظ ثلاث بسند جيد وضعفه العقيلي، وهذه الزيادة تفسد المعنى وتكلفوا للجواب عنها بما لا يساوي ذكره، وفي المقاصد «حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» ثبت عن جماعة وما اشتهر من زيادة لفظ ثلاث فلم أقف عليها إلا في موضعين من الأحياء وفي آل عمران من الكشاف وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش وبه صرح الزركشي وشيخنا قال العقيلي ليست هي في شيء من كتب الحديث وقد وجه ابن فورك معناه في جزء « . تذكرة الموضوعات، لجمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتّني، (ت٩٨٦ هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، بلا تاريخ: ٥٤.

وجعلت قرة عيني في الصلاة». ولم يبال محمد بسن المرأة التي كان يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنوات، وتزوج ميمونة وهي في السنة الحادية والخمسين من عمرها. وأطلق محمد العنان لذلك الحب، حتى إنه رأى اتفاقًا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرَّحها بعلُها، ليتزوجها محمد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فاغتم المسلمون، فأوحي إلى محمد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميًا آيات تسوغ ذلك، فانقلب الانتقاد إلى سكوت»(١).

ويقول جولد تسيهر في كتابه العقيدة والشريعة: «روي عنه ﷺ أنه قال: «إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء» وأضيف إلى ذلك فيما بعد: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام خصومه الذين أخذوا عليه أنه لا يشتغل بغير النساء مما لا يتفق وصفة النبوة»(٢).

فههنا استدل المستشرقون بحديث مشهور ـ على افتراض صحته ـ لاستخلاص نتائج محرفة، والرد على هذه من وجوه كثيرة، منها :

١ – إن الزواج بأكثر من واحدة كان جائزًا في جميع الشرائع السابقة، كاليهودية والنصرانية(٣)، وعجب المستشرقون من هذا يدل إما على جهل بأمور دينهم، أو حقدٍ على نبي الإسلام ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

٢ ـ إن الدعوى بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب النساء يناقض ما ذكر من تزوجه

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م: ١٤٢.

(٢) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ، ١٤١٨هـ : ١/ ٥٢٤.

(٣) تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراقي، د. محمد بن شتا أبو سعد، الرياض، بلا طبع ـ بلا تاريخ: ١٢١.

بامرأة في السنة الحادية والخمسين من عمرها، فهذا يخالف ما عرف من فطرة الرجال، وكذلك تزوج ببكر واحدة وهي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣ ـ ودعواهم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عارية، خبر عارٍ عن الصحة، وكذلك أن المسلمين قد اغتموا بذلك .

٤ ـ إن قول لوبون: « فأوحي إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» يناقض دعواهم أن القرآن من عند رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ .

٥ ـ قوله: «فانقلب الانتقاد إلى سكوت» دعوى كاذبة أخرى لا دليل عليها إلا التلفيق .

٦ ـ أن القول أنه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لا يشتغل بغير النساء تناقضه سيرة الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الحافلة بالجهاد وبالدعوة إلى الله تعالى .

٧ ـ دعواهم أن الاشتغال بالنساء مما لا يتفق مع وصف النبوة يناقض ما ذكرته التوراة عن تعلق سليمان ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ بالنساء. كما أن سيرة النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ المحمودة في قومه قبل النبوة وبعدها تكذب هذه الدعاوى .

٨ ـ إن الزواج بأكثر من واحدة لم يختص به النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بل هو أمر قد أبيح لعموم المسلمين والتزوج بأربعة، ومعلومة فوائد تعدد الزوجات، ومعلومة أيضاً حكمة تعدد زيجات النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فإن لها دوافعها الاجتماعية والدعوية المعروفة المبسوطة في الكتب .

وقال الرسول ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ((النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوَّجوا فإني مكاثِرٌ بكم الأمم. ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه

بالصيام فإنَّ الصوم له وِجاء))[1].

٩ ـ زعمهم أن عبارة (وجعلت قرة عيني في الصلاة) أضيفت إليه فيما بعد، لا أصل لها وليس لها مصدر يعرف .

١٠ ـ قال القزويني تعليقاً على الزمخشري: « قوله: (ومنه قوله ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلام ـ: حبب إليّ من دنياكم ثلاث)[2]، هذا إذ لم يجعل (قرة عيني) في الصلاة الثالث؛ كأنه لما ذكر الاثنين سقط في يده، وقال: ما لي وللدنيا، وشرع فيما هو أهم ؛ لأن الصلاة ليست من الدنيا»[3] .

١١ ـ قال الملا علي القاري: « لم بدأ بالنساء وأخر الصلاة؟

الجواب: لما كان المقصود من سياق الحديث ما أصاب النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ من متاع الدنيا بدأ به، كما قال في الحديث: « «ما أصابنا من دنياكم هذه إلا النساء» « ولما كان الذي حبب إليه من متاع الدنيا هو أفضلها وهو النساء بدليل قوله في الحديث الآخر: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» ناسب أن يصل إليه بيان أفضل الأمور الدينية وذلك الصلاة، فإنها أفضل العبادات بعد الإيمان، فكان الحديث على أسلوب

(١) سُنَن ابْنُ مَاجَهْ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن يَزَيْد القَزْويني، (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، بلا تاريخ: ٣/ ٣٠٠، رقم (١٨٤٦) .والحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات . ينظر: مِصْبَاح الزُّجَاجَة في زوائد ابْنُ مَاجَهْ، لأَحْمَد بن أَبِي بَكْر بن إسماعيل الكناني، (ت٨٤٠هـ)، تحْقِيق: مُحَمَّد المُنْتَقَى الكشناوي، دار العَرَبِيّة، بَيْرُوْت، ط٢، ١٤٠٣هـ: ٤/ ١٦٧ .

(٢) الكَشَّاف عن حقائق التَّنْزيل وعُيُون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشري الخُوَارزُمي، (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م: ١/ ٤١٦ .

(٣) حاشية الكشف على الكشاف، لسراج الدين عمر بن عبدالرحمن القزويني، (ت٧٤٥هـ)، مخطوط في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية برقم (٢٢٩٦): الورقة ٦١ .

البلاغة من جمعه بين أفضل أمور الدنيا، وأفضل أمور الدين، وفي ذلك ضم الشيء إلى نظيره، وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به في أمر الدنيا على مجرد التحبيب. وقال في أمر الدين: « «جعلت قرة عيني» « فإن قرة العين من التعظيم في المحبة ما لا يخفى»[(١)] .

١٢ ـ قوله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ (حبب) بالبناء للمفعول ولم يقل (أحب) تحقيراً لأمرها ؛ لأنه أبغض الناس فيها، لا لأنها ليست من دنياه، بل من آخرته كما ظن، إذ كل مباح دنيوي ينقلب طاعة بالنية فلم يبق لتخصيصه حينئذ وجه، ولم يقل من هذه الدنيا ؛ لأن كل واحد منهم ناظر إليها وإن تفاوتوا فيه وأما هو فلم يلتفت إلا إلى ما ترتب عليه مهم ديني فحبب إليه[(٢)] .

وليس الموضع هنا موضع استقصاء الردود على هذه الشبهات، بل التدليل على مناهج المستشرقين في انتقاء الأحاديث وتأويلها بما يناسب أهوائهم .



(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لنور الدين علي بن سلطان مُحَمَّد الهروي المعروف بملا علي القاري، (ت١٠١٤هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣٠٩ هـ: ٨/ ٣٢٩٤ .

(٢) ينظر: فَيْض الْقَدِير شَرْح الْجَامع الصَّغِير، لعبدالرؤوف المناوي، (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: أَبِي الوفا الأفغاني، المكتبة التجارية الكبْرَى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ: ٣/ ٣٧٠ .

المبحث الثالث

طعنهم بعلماء الإسلام

انسجاماً مع سياسة المستشرقين بالطعن بالإسلام ورمزوه، فقد طعن المستشرقون بعدد من علماء المسلمين البارزين ، وسأستشهد بأقوالهم في الطعن بأحد علماء الحديث ورواته، وهو الإمام الزهري[1] ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ .

ومعلوم أن الطعن بعلماء الحديث إنما يراد منه الطعن بالحديث النبوي الشريف نفسه، وما يعنيه هذا من طعن بالإسلام وبنبيه الكريم ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ .

ومن أشكال الطعن ما قالوه في الحديث الشريف الذي رواه الزهري :

((لا تشد الرحال إلى ثلاث مساجد: مسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا))[2].

يقول المستشرق أجناس جولد تسيهر: «ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب

(١) هو الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، ثقة فقيه متفق على إجلاله وإتقانه، من رؤوس الطبقة الرابعة، توفي سنة (١٢٥ هـ) . ينظر: تَقْرِيْب التَهْذِيب، لأبي الْفَضْل أَحْمَد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الشَّافِعِيّ، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عَوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م: ٢ / ٥٠٦ .

(٢) متفق عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ: كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ١/ ٣٩٨، رقم (١١٣٢) ؛ صَحِيْح مُسْلِم . لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القُشَيْري النَّيْسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، بلا تاريخ: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ٢/ ١٠١٤، رقم (١٣٩٧) .

في الحديث الموافق لوجهات نظرهم، فالمسألة كانت في إيجاد هؤلاء الذين تنسب إليهم، وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث... الخ»(١).

ويقول أيضًا: «إن عبدالملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعدًا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» ومنها حديث: «الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه» وأمثال هذين الحديثين، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث، أنه كان صديقًا لعبد الملك وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط»(٢).

ولقد أسهب العلماء القدامى والمعاصرون في الرد على هذه الفرية التي رددها هذا المستشرق ومن تبعه، وهي فرية قديمة تبنتها بعض الفرق للطعن في كل رواية وردت في العهد الأموي، والمستشرقون يتصيدون كل خبر أو رأي ورد هنا أو هناك حتى وإن كان متهالكاً ليقيموا به الحجة على دحض السنة الثابتة الصحيحة .

وهذا المستشرق بنى رأيه على خبر شاذ ساقه اليعقوبي المعروف بعدائه للدولة الأموية إذ قال في تاريخه: «ومنع عبد الملك بن مروان أهل الشام من الحج، وذلك لأن عبد الله

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م: ٢٠٦.
(٢) السنة ومكانتها في التشريع: ١٩١.

ابن الزبير (الذي كان مسيطرا على مكة) كان يجبرهم على مبايعته بالخلافة، فلما رأى عبدالملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس وقالوا تمنعنا من حج بيت الله وهو فرض علينا، فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة .. وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة»[(١)] .

والرد على هذه الفرية من وجوه كثيرة، منها :

أ – أجمع المؤرخون قاطبة أمثال الطبري وابن خلدون وابن الأثير على أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبدالملك، وليس عبدالملك بن مروان، وكان الناس يقفون عندها في يوم عرفة، حيث كانت عادة المسلمين في كثير من البلاد حيث كانوا يخرجون إلى أطراف المدينة في هذا اليوم ويشاركون إخوانهم الحجاج في هذا اليوم، مع من أن كثيرًا من العلماء كرهوا هذا الفعل، فالأمر لم يكن مقتصرًا على قبة الصخرة وإنما كان في كل مكان[(٢)].

ب – لو كان كلام جولد تسيهر صحيحًا على فعل عبدالملك بن مروان، لما سكت علماء الأمة من ذلك الوقت وإلى يومنا على ذلك، لأن منع الناس من الحج لبيت الله

(١) تَارِيْخ اليعقوبي، لأَحْمَد بن أَبِي يعقوب بن جعفر العباسي اليعقوبي، (ت٢٩٢هـ)، دار صادر، بَيْرُوْت، بلا تاريخ: ٢/ ٢١٦ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع: ١٩١ ؛ الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٥هـ: ٦٨ .

وإنشاء مكان آخر للحج فيه يعد كفرًا، لا يقبل التهاون معه والمجاملة فيه[١].

ج – يذكر المؤرخون أن الزهري لم يلتق بعبدالملك بن مروان في عهد ابن الزبير، وإنما كان أول لقاء بينهما بعد مقتل ابن الزبير حينما كان شابًا، وإن السنة التي ولد فيها الزهري كانت إحدى وخمسين أو ثمانية وخمسين، وكان مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري عشرين عامًا أو خمسة عشر عامًا، وغير معقول أن يشتهر الزهري في هذه السن المبكرة ثم يفتي بالحج إلى قبة الصخرة بدلاً من الكعبة؟[٢].

د – أما كلام تسيهر أن حديث «لا تشد الرحال» لم يروه غير الزهري فهذا باطل لا أصل له، فقد روي من طرق كثيرة غير طريق الزهري كما أخرجه البخاري ومسلم[٣].

هـ- ولد الزهري عام ٥١ أو ٥٨ و مقتل ابن الزبير كان عام ٧٣ فيكون عمر الزهري حينذاك على الرواية الأولى ٢٢ عاماً و على الثانية ١٥، فهل يعقل أن يكون الزهري في تلك السن ذائع الصيت عند الأمة الإسلامية بحيث تتلقى منه حديثاً موضوعاً يدعوها للحج إلى القبة بدل الكعبة[٤] ؟

(١) السنة ومكانتها في التشريع: ١٩٢؛ الاستشراق وموقفه من السنة: ٦٩ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع: ١٩٣؛ الاستشراق وموقفه من السنة: ٧٠ .

(٣) المرجعان نفسهما .

(٤) ينظر: الرد على مزاعم المستشرقَين إجناتس جولدتسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، د. عبدالله عبدالرحمن الخطيب، بحث منشور على http: / /www.al-maktabeh.com /ar /open.php?cat=9&book=1431.

المبحث الرابع

طعنهم بالأحكام الشرعية

مما طعن به المستشرقون الأحكام الشرعية الإسلامية، ولعل أبرز تكليف شرعي طعنوا به هو الصلاة، وقد استدلوا بحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ((فرضت الصلاة في الأصل ركعتين، إلا في المغرب فإنها وتر النهار ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر))[1].

يقول بروكلمان: «كان محمد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه يصلون مرتين في اليوم في مكة، أو ثلاث مرات في المدينة كاليهود، ثم جعلت الطقوس المتأخرة المتأثرة بالفرس عدد الصلوات في اليوم خمسًا»[2].

فهذا نص متهالك متناقض لا يقوم على أي دليل ثابت ومعروف، فأين الدليل على أن الفرس يصلون خمس صلوات في اليوم، وأي صلاة هذه التي يصلونها ؟

ومتى صلى المسلمون ثلاث مرات في اليوم في المدنية؟ وأين الدليل على أن اليهود كانوا يصلونها ثلاث مرات ؟ وبعد كل هذا وذاك لم يخبرنا لم صلى المسلمون وقتين في مكة، ولم يذكر ممن أخذ المسلمون هذا ؟ هل أخذوه من المشركين أو من الحبشة ؟

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ: كتاب الصلاة، باب التاريخ من أين أرخوا، ٣/ ١٤٣١، رقم (٣٧٢٠)، صَحِيْح مُسْلِم: كتاب الصلاة، باب قصر الصلاة، ١/ ٤٧٨، رقم (٦٨٥) .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أحمد فارس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م : ٧٣.

فنحن أمام نص شحنه مؤلفه بالاتهامات الباطلة التي لا دليل عليها ولا غاية له من طرحه إلا التشكيك ومحاولة إلصاق كل فعل عربي إسلامي بالآخرين فرساً كانوا أو يهوداً، المهم في الأمر تجريده من صفته العربية الإسلامية .

ويزاد على ذلك أدلة نقلية أوجزها بما يأتي :

إن الصلوات الخمس فرضت بمكة ليلة الإسراء والمعراج بلا خلاف بين أهل العلم في ذلك(١).

لكن اختلف العلماء في فرضية الصلاة قبل الإسراء والمعراج على أقوال :

القول الأوَّل: لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد، قال العلامة ابن حجر العسقلاني «وذكر الشافعي عن بعض أهل العلم: أن صلاة الليل كانت مفروضة ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾(٢)، فصار الفرض قيام بعض الليل ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (٣).

(١) ينظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي الحنبلي، (ت٧٢٥ هـ)، مكتبة العبيكان، بلا تاريخ : ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ؛ الإيمان الأوسط، لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، المكتب الإسلامي، السعودية، بلا تاريخ: ٦٠٥ ؛ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، بمحمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرماني، (ت٧٨٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م : ٤/ ٣ ؛ عُمْدَة القاري شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لبدر الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن موسى بن أَحْمَد بن الحسين العيني الْحَنَفِيّ، (ت٨٥٥هـ)، دار إِحْيَاء الْتُرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، بلا تاريخ: ٣/ ١٧١ .

(٢) سُوْرَةُ الْمُزَّمِّل: الآية ٢٠.

(٣) فَتْح البَارِي شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأَحْمَد بن علي المعروف بابن حَجَر العَسْقَلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ومُحِبّ الدِّين الْخَطِيب، (ت١٩٦٩م)، دار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، ط١، ١٣٧٩هـ : ١/ ٣٩٣ .

القول الثاني: إن الصلاة كانت مفروضة ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي[1]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[2].

القول الثالث: صرح الحافظ ابن حجر بفرضية الصلاة عنده قبل الإسراء والمعراج مستدلاً بحديث ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: ((انْطَلَقَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلاَّ شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الْفَجْرِ))[3].

واختلف في فرضية الصلاة ليلة الإسراء والمعراج، قال ابن سيد الناس: « وأما عدد ركعاتها حين فرضت: فمن الناس من ذهب إلى أنها فرضت أوَّل ما فرضت ركعتان ثم زيد في صلاة الحضر فأكملت أربعاً وأقرت صلاة السفر على ركعتين، وروي ذلك عن عائشة والشعبي وميمون بن مهران ومُحَمَّد بن إِسْحَاق وغيرهم .

(١) الإيمان الأوسط: ٦٠٥

(٢) سُوْرَةُ غَافِرٍ: الآية ٥٥ . وينظر: عُيُون الأَثَر في فنون المَغَازي والشمائل والسِّيَر، فَتْح الدِّين أبو الفَتْح مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالله الشَّافِعِيّ اليَعْمُريَ الأَنْدَلُسي المِصري، المعروف بابن سيد الناس، (ت٧٣٤هـ)، دار الجيل بَيْرُوْت، ط٢، ١٩٧٤م: ١ / ١٥٢

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، ينظر صَحِيح البُخَارِيّ: ١ / ١٤٠ – ١٤١ . ومسلم: برقم (١٤٩ و ٤٤٩) كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن . وينظر: فَتْح البَاري: ١/ ٣٩٣ .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت أوَّل ما فرضت أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً والصبح ركعتين، كذلك قال الحسن البصري، ونافع بن جبير بن مطعم، وابن جريج.

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، ويروى ذلك عن ابن عباس»[1] .

ومن هذا يتبين أن ما ادعاه بروكلمان عارٍ عن الصحة تماماً وأنه لم يرد أن المسلمين صلوا ثلاث ركعات كاليهود في المدينة، أو أن المسلين تأثروا بالفرس، إذ أن الصلاة كانت تشريعاً إلهياً كتبت على المسلمين عند الإسراء .

❊ ❊ ❊

(١) عيون الأثر: ١/ ١٤٨ -١٤٩ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وزوجاته الطاهرات والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

فإن الموضوع واسع ومتشعب، ولكني ارتأيت تسليط الضوء عليه للتنبيه إلى المنهج الذي سلكه أغلب المستشرقين للطعن بالإسلام، وهو منهج فرق الضلال نفسه، انتقاء بعض الأحاديث مدخلاً للطعن، وهم بهذا يقعون بخطأ مركب، فمن ناحية يرفضون الإقرار بصحة الأحاديث النبوية، ومن ناحية يستدلون ببعضها متى وافقت أغراضهم.

فهذا البحث كشف من الشواهد المعروضة أن المستشرقين يتعمدون طمس الحقائق وتشويهها، ويتهربون من ذكر الأدلة أو يلجأون إلى الروايات الموضوعة المتهالكة، أو إلى أقاويل الفرض الضالة والتأسيس عليها.

وأوصي هنا بما يأتي:

١ – أن يجري كشف حقيقة الأدلة التي استشهد بها المستشرقون وزيفها في دراسات تتناول أعمل كل المستشرقين .

٢ – أن ترفق هذه النتائج مع كتب المستشرقين التي تطبع لاحقاً .

والله الموفق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ـ دراسة ونقد، عمر إبراهيم رضوان، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين ١٤١٤هـ.

٢. أجنحة المكر الثلاثة، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٠م .

٣. الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء، أدورد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١ .

٤. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، الدوحة، سلسلة كتاب الأمة، ١٩٨٤ .

٥. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، محمد الشاهد. مجلة الاجتهاد، عدد ٢٢، السنة السادسة، شتاء عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٦. الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٥هـ .

٧. الاستشراق. د. مازن مطبقاني، بحث منشور على موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق،

http: / / medina center.org.

٨. الإيمان الأوسط، لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، المكتب الإسلامي، السعودية، بلا تاريخ .

٩. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أحمد فارس وآخرون، دار

العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م .

١٠. تَارِيْخ اليعقوبي، لأَحْمَد بن أَبِي يعقوب بن جعفر العباسي اليعقوبي (ت٢٩٢هـ)، دار صادر، بَيْرُوْت، بلا تاريخ .

١١. تذكرة الموضوعات، لجمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتّنِي، (ت٩٨٦ هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، بلا تاريخ .

١٢. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، د. عبد الجبار ناجي، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨١ .

١٣. تعدد الزوجات إعجاز تشريعي يوقف المد الاستشراقي، د. محمد بن شتا أبو سعد، الرياض، بلا طبع ـ بلا تاريخ .

١٤. تَقْرِيْب التَهْذِيب، لأبي الْفَضْل أَحْمَد بن علي بن حَجَر العَسْقلاني الشَّافِعِيّ، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

١٥. حاشية الكشف على الكشاف، لسراج الدين عمر بن عبدالرحمن القزويني، (ت٧٤٥هـ)، مخطوط في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية برقم (٢٢٩٦) .

١٦. الحركة الصليبية وأثرها على الاستشراق الغربي، د. علي الشامي، مجلة الفكر العربي، العدد٣١، ١٩٨٣م .

١٧. حضارة العرب، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

١٨. حوار تحت عنوان الاستشراق في الميزان، مكسيم رودنسون، مجلة رسالة الجهاد، العدد ٧٠

١٩. دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، د. علي علي شاهين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٠. دراسات في الكتب المقدسة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، ترجمة دار المعارف، دار المعارف، ١٩٧٨م .

٢١. دراسة المشرقيات في أوربا، فليب حتي، مجلة الهلال، العدد ٣٣، ١٩٨٢ .

٢٢. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي، برمنجاهم، ١٤١١هـ .

٢٣. الرد على مزاعم المستشرقَين إجناتس جولدتسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، د. عبدالله عبدالرحمن الخطيب، بحث منشور على-

http://www.al-maktabeh.com/ar/openphp?cat=٩&book=١٤٣١

٢٤. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م .

٢٥. سُنَن ابْنُ مَاجَهْ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن يَزَيْد القَزْويني، (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، بلا تاريخ .

٢٦. شرح الزركشي على مختصر الخرقي، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي الحنبلي، (ت٧٢٥ هـ)، مكتبة العبيكان، بلا تاريخ .

٢٧. صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بَيْرُوْت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٢٨. صَحِيْح مُسْلِم . لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيْسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، بلا تاريخ .

٢٩. العقيدة والشريعة في الإسلام ـ تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، عبدالعزيز عبدالحق،

علي حسن عبدالقادر، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٧م.

٣٠. عُمْدَة القاري شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لبدر الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن موسى بن أَحْمَد بن الحسين العيني الْحَنَفِيّ، (ت٨٥٥هـ)، دار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، بلا تاريخ .

٣١. عُيُون الأَثَر فِي فنون المَغَازي والشمائل والسِّيَر، فَتْح الدِّين أبو الفَتْح مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالله الشَّافِعِيّ اليَعْمُري الأَنْدَلُسي المِصري، المعروف بابن سيد الناس، (ت٧٣٤هـ)، دار الجيل بَيْرُوْت، ط٢، ١٩٧٤م .

٢٣. فَتْح البَاري شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأَحْمَد بن علي المعروف بابن حَجَر العَسْقَلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ومُحِبّ الدِّين الْخَطِيب، (ت١٩٦٩م)، دار المَعْرِفَة، بَيْرُوْت، ط١، ١٣٧٩هـ .

٣٣. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٠م .

٣٤. فَيْض الْقَدِيرِ شَرْح الْجَامع الصَّغِير، لعبدالرؤوف المناوي، (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: أَبِي الوفا الأفغاني، المكتبة التجارية الكُبْرَى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ .

٣٥. قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، - توفيق محمد السبع، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م .

٣٦. الكَشَّاف عن حقائق التَّنْزِيل وعُيُون الأقاويل فِي وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشَرِي الخُوَارِزْمي، (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م .

٣٧. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، بمحمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرماني، (ت٧٨٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٣٨. الْمُجْتَبَى مِنَ السُنَن، لأبي عبدالرحمن أَحْمَد بن شعيب النَّسَائِيّ، (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٣٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لنور الدين علي بن سلطان مُحَمَّد الهروي المعروف بملا علي القاري، (ت١٠١٤هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣٠٩ هـ .

٤٠. المستشرقون البريطانيون، ا. ج. آربري، تعريب محمد الدسوقي النويهي، وليم كولينز، لندن، ١٩٤٦م .

٤١. مُسْنَد أَحْمَد بن حَنْبَل، لأبي عبدالله أَحْمَد بن حنبل الشَّيْبَانِيّ، (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر بلا تاريخ .

٤٢. مِصْبَاح الزُّجَاجَة في زوائد ابْنُ مَاجَهْ، لأَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن إسماعيل الكناني، (ت٨٤٠هـ)، تحْقِيق: مُحَمَّد الْمُنْتَقَى الكشناوي دار العَرَبِيّة، بَيْرُوْت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

٤٤. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ، ١٤١٨هـ .

٤٥. واقعية المنهج القرآني، توفيق محمد السبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٣م .